

المخطوطات في أسس جمعها وبنائها (دراسة في مناهج تحقيقها وضبطها)

د/محمد حجازي

جامعة بانه

مدخل نظري:

تتم الأمم قاطبة بالحفاظ على تراثها، بجمعها وإثرائه وتلقيه للأجيال، حتى يبقى التواصل قائماً بين منظومات التفاعل المعرفي الجيلي. وأهم ذلك كله، نظام المخطوطات في أصل المحافظة والجمع والضبط؛ حتى يستقيم التفاعل والاستفادة بين أبناء الأمة والقراء.

ولأهمية ذلك، انبرت المؤسسات العلمية والمعرفية، على مختلف مستوياتها ومسؤولياتها، بالاهتمام الكبير لعمليات التحقيق والدراسة والجمع والطبع... وكل ما يشكل عملية المنهجية، للإخراج العلمي الأكاديمي الدقيق للمخطوطات والأسفار القديمة.

وطبعاً، فإن تطبيق المناهج يُعد السبيل الذي يوجه بإحكام ودقة وتمحيص عمليات التحقيق، التي تتناول التراث العلمي الذي صنعه الأمم، وتعاقبت حوله الأجيال، وفق منهج التواصل والعطاء وتعميم الفائدة والاستفادة.

وهذا ما يشير إليه - د - عبد الباسط محمد حسن بقوله: "إن الدراسة المنهجية العلمية الدقيقة، في تناول البحوث والتحقيقات، إنما هي للوصول إلى إظهار الحقائق وتوصيلها إلى القراء، والتحقق من مضامين التراث بمخطوطاته وبحوثه، حتى يتمكن من تعميم الاستفادة منها والتحقق من معارفها وصحتها هي أيضاً".⁽¹⁾ وبطبيعة الدراسة والحال، تظهر مكان المعرفة والتواصل مع الحقائق الثابتة المميزة لكل فترة من فترات التاريخ وصورته وحقائقه.

وهل يمكن اعتبار قول (باختين) عن الكتابة، يصلح أن يتماشى مع المخطوطات وطرائق تحريرها وتحقيقها وأبعاد ذلك حين يقول: "الفن الذي يعيش في ضرورة دائمة، ولا يزال غير مكتمل".⁽²⁾ وتعتمد الشعوب في تقويم إنيتها وبنائها المجتمعي، على هذا الزخم المعرفي الإنساني، الذي يحقق رغبة البقاء والتواصل، وهذا ما عليه الشعوب المتحضرة، مثلاً: "في بلاد الغرب اعتمدوا أساساً على العلوم الاجتماعية، لفهم واقع مجتمعاتهم واستعمالهم للعلوم الاجتماعية والإنسانية والقيم المعرفية الموروثة، ارتكازاً

¹ - أصول البحث العلمي - مكتبة وهبة - القاهرة - ط 1982 - ص 124

² - عبد الملك مرتاض - تقنيات السرد - عالم المعرفة - الكويت - عدد 240 - ص 47

على تناول العلمي والمنهجي لمعالجة ظواهر الحياة اليومية، وهذا لن يتم دون البحث الميداني والتعاطي مع
الموروث الحضاري المنسوخ في السجلات والمكتبات (1)

1- دراسة في المفاهيم:

بعد تفسير ابن جني للغة، على أنها وسيلة التواصل بين الناس لأداء أغراضهم وتبديد شؤون حياتهم، على
إثر التعريف والتفسير الذي يصب في بحالة التداول الدلالي لصورة اللغة وتراكيبها ونصوصها ووجودها
أساساً، كون العملية تتميز بالأدوات المعرفية الموصلة إلى حركة التواصل وتوظيف المعارف ومهارات الكتابة
والتميز فيها، والإقدام على ترسيخ مفاهيم العلوم ومصطلحاتها ودلالاتها، والأنساق المعرفية التي تحاول شرح
ومنهجية المعارف والعلوم والآداب، بما يكفل الفهم وتحقيق الغايات.

وتلك فطرة الله تعالى في خلقه، أن علم سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) الأسماء كلها ثم عرضهم على
الملائكة... حين تحقق وعد الحق بالخلق والخلافة في الأرض، يقول تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبُلُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ" (2)

وحكمة تعليمه سبحانه وتعالى لآدم، أنه سيستخلفه في الأرض ليعمرها، ويترك آثاراً كلما تعاقبت
الأجيال وتآلفت مع المتغيرات الحياتية، التي تسعى من خلال العلم والمعرفة إلى تحقيق أدوات الاختلاف في
الأرض والتواصل مع أبعاد الحياة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، كلما فحاشى ذلك مع سنن الكون.

إن تلك التسجيلات والقراءات للحياة، مبعثها الثراء اللغوي والمعرفي والتنوع في العطاء والإبداع وكل
مواطن الكتابة، والقراءة والنسخ والتسجيل؛ والسبب الرئيس لها: "تشكل من تفاعل شبكة العلاقات المعرفية
والاجتماعية والتوترات والنجاحات والإخفاقات، وكل ما يشكل حياة الناس من التشابه والاختلاف، ومن
الثغرات العامة والخاصة؛ لأنها مجال الدراسات في القاسم والحديث، وهي في كل ذلك تطلع لصناعة التاريخ
والجد والثراء فيه" (3)

لكون السلوك العقلي أداة لصناعة الأفكار وإنتاجها، وقراءة الماضي بتأريخه والحاضر بتسجيله والمستقبل
بتطلعاته: "فقد اعتنى العلماء والباحثون بنشر الكتب الخلفية وتقديمها للناس بخدمة للعلم وأهله... وكذا مقابلة
الأصول والمرويات والسّماعات... فكانوا أن اتقنوا غاية الإتقان، وسجلوا حياتهم غاية التسجيل والحفظ...." (4)

1- بتصرف / موريس المرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- ترجمة/ بوزيد، صحراري- دار الفصبة- الجزائر- ط2004-

2- سورة البقرة- الآية 31

3- بتصرف - د- اسماعيل زردومي- محاضرات في السرد- السنة الدراسية 2009-2010م- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة

العربية وآدابها- جامعة باتنة- الجزائر

4- بتصرف - إيهاد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر - دمشق- ط1- 1423هـ- 2003م- ص 9

فمهمة التسجيل والكتابة، من أجل المهمات التي حفظت لنا مسيرة الإنسانية وأبدعت في مقابلتها وتمكينها في حرص أكيد، من أجل البقاء الاجتماعي والمسييرة الحياتية، والانصهار والانبهار المستقبلي. إن ذلك يحتاج إلى منهج أكيد ودال، حتى يتسنى ضبط الأفق المعرفي للتراث الإنساني المتعدد الطوابق والمشور في أركان الزوايا والمساحد والقلاع التراثية المتنوعة والمتعددة. ويكون المنهج هو السبيل الذي يصب تداركه ومعرفته، لصيانة التحقيق وإظهار المخطوطات إلى الوجود على وجهها اللائق والمشرف علميا وأدبيا وإجرائيا. (1)

ولمعرفة هذه القياسات الآلية التي تحقق للنص القدم ظهوره الفعلي والمعرفي العام لدى القراء، يمكن الحديث حينها عن المنهج وكيفية صناعة النص وإخراجه في أبهى صورة ممكنة، حتى يتمكن القارئ والباحث من الفهم ومعرفة الاتجاه الذي يستحوذ عليه المخطوط، وكَم المعارف التي يحويها، حتى يتلازم ذلك مع التحقيق وفق مقاييس المناهج وضوابطها الآلية المتبعة للنص والفهارس والخواشي... وكل ما يشكل مستويات الطرح في النسخة (المخطوط).

وعليه فإن المنهج في اللغة هو الطريق. والمنهاج: الطريق الواضح، هكذا في لسان العرب، يقول تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا... والمنهج الطريق: وضَّح واستبان وصار لمحا واضحا بيّنا، وأورد قولاً ليزيد بن الحذاق العبدي، يقول فيه:

ولقد أضاء لك الطريقُ وأَنْهَجَتْ *** سُلُ المكارم والهدى تعدي

أي: (تعين وتقوي).

وأورد حديثاً للعباس يقول فيه: (لم يمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى ترككم على طريق ناهجة)، يريد واضحة بيّنة.

وفي المعنى نفسه، يقال أيضاً: اعملْ على ما نَهَجْتُهُ لك، أي: (رسمته وصمّمته لك) (2).

- وفي القاموس المحيط، جاء المعنى بقوله: 'النَّهَجُ: الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج، ونَهَجَ وضَحَ وأوضَحَ، والطريق سلكه. استنهج الطريق: سلك مسلكه... (3).

وفي معجم مقاييس اللغة، جاء مصطلح: (لهج) بالمعاني التالية:

المنهج: الطريق، ولهج لي الأمر: أوضّحه، وهو مستقيم المنهاج. والمنهج الطريق أيضاً، والجمع المناهج، وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً منقطع النفس (4).

¹ - بنظر - د- رمضان عبد التواب - تحقيق التراث (أساليبه وأعدائه) - مجلة قافلة الزيت - عدد فبراير - 1976م

² - ابن منظور - قدمه/ الشيخ عبد الله العلامي - أعاد ساءه على الحرف الأول: يوسف حياطة - دار الخليل - بيروت - دار لسان العرب بيروت - مادة: (لهج) - مج 6 - ص 727

³ - المفروق آمادي - دار الخليل بيروت - المؤسسة العربية للطباعة - بيروت - مادة (لهج) باب المجرم - فصل البر - ص 1 - ص 218

⁴ - ابن فارس (أب الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) - نبع/ عبد السلام محمد هارون - دار الفكر بيروت - مادة: (لهج) - ص 3

ولهذا الاعتبار اللغوي لمدلول المناهج، وجب الاتجاه نحو توضيح الطريق الذي من أجله يقام البحث أو يظهر التحقيق حول مؤلف ما من المؤلفات، التي هي محل الدراسة والتحقيق والبحث، بمعنى هو: السبيل الذي يسلكه الباحث قصد إنجاز مشروع علمي يتضمن حزمة من الآليات المنهجية، التي تساعد على تحقيق غرض البحث والتحقيق حول مؤلف من المؤلفات أو قضية من القضايا؛ قصد إزالة الغموض عنها وفتح آفاق المعرفة حولها من أجل الوصول إلى النتائج والأهداف التي من أجلها جاء البحث.

إذ يُعدّ البحث أو التحقيق في نظر بعضهم، بأنه: "تقديم الدليل والبرهان والأسباب المرجحة لإيجاد الطريقة الصحيحة في التعريف بالنص أو النسخة أو الموضوع، ثم تصور ما يُتصور ويقع، ونقد ما يوجب النقد" (1).

وبالنسبة للتحقيق وعلاقته بالمناهج، فهو الإطار المعرفي الذي يقوم على ضوابط معرفية تقترحها مناهج تحقيق المخطوطات على المحقق؛ ليضطلع بدور علمي ومعرفي فعال، قصد إخراج المخطوط إلى حيز الوجود الفعلي للكتاب والنسخ، حتى يسهل وصوله إلى يدي القارئ لتعميم المعرفة، وإخراج كنوز العلوم والمعارف، التي ترخر بها ذاكرة الأمة والأوطان: "وانطلاقاً من حتمية انعدام الكمال في أي منهج، فإننا لا نصل من حيث المبدأ إلى أي منهج، وأثناء الممارسة التطبيقية أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية والتحقيق المتواصل، لمنح العمل الأدبي المنجز شيئاً من الشرعية، وشيئاً من الدفاء الذاتي معاً" (2).

فالتحقيق في جانبه اللغوي، يعني: "حقّق؛ الحقّ: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقائق. ولحقّ: ليقين، وحق الأمر: بحقه حقاً وأحقّه: كان منه على يقين، تقول: حققت الأمر وأحققته: إذا كنت على يقين منه. وفي الحديث: "لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيب مسلماً بعبٍ هو فيه". يعني خالص الإيمان ومحضه وكهفه. وحقاقه في الأمر مُحاقّةٌ وحَقاقاً: ادعى أنه أولى بالحق منه. وأنا حَقِيقٌ على كذا: أي حريص عليه. وصبغت الثوب صبغاً تحقيقاً أي مشبعاً. وثوب محقّق: عليه وشيٌّ على صورة الحقّ. وثوبٌ محقّق: إذا كان بحكم النسخ، قال الشاعر:

لَسَرَبَلَ جِلْدَ وَجْهِ أَبِيكَ، إِنَّا *** كَفَيْنَاكَ الْمُحَقَّقَةَ الرَّقَاقَا

وأنا حَقِيقٌ على كذا، أي حريص عليه" (3).

ويتحدث بعضهم عن المعنى اللغوي أيضاً للتحقيق، فيقولون عنه: "التصحيح والإحكام. قال ابن الأعرابي: أحققت الأمر إحقاقاً: إذا أحكمته وصححته. وعن المخطوطة قولهم: "كل ما كتب بخط اليد سواء كان كتاباً أو وثيقة أو نقشا" (1).

¹ - برحمتهم (مشرق ألمانيا) - أصول نقد النصوص ونشر الكتب - تقديم د- محمد حمدي الكري - دار الريح للشر - الرياض -

السعودية - ص 54-55

² - د- عبد الملك مرتاض - التحليل السيميائي للخطاب الشعري - منشورات إتحاد الكتاب العرب - دمشق - ط 2005 - ص 11

³ - ينظر/ ابن منظور - لسان العرب المخطوط - (مصدر سابق) - مع 1- مادة: (حقن) - ص 680-683

ويهدف التوثيق والتحقيق إلى: " صيانة المصنفات والمخطوطات والدقة في نقلها بعيدا عن العثر والتحريف والتزوير".⁽²⁾

والغرض الأكيد من التحقيق والعمل به، هو المحافظة على المخطوطات من حيث: " العناية العلمية، وإخراجها إلى القارئ في أقرب صورة ممكنة من أصلها الذي كتبه المؤلف، إذا لم يمكن وضعها في صورة مطابقة لذلك".⁽³⁾

وفي الجانب الاصطلاحي المفاهيمي، يعني الوصول بالإرث المعرفي الإنساني إلى حيويته وتواجده الفعّال داخل المنظومة العلمية والأدبية والشرعية التي يحتاجها الإنسان، كمنطلقات تربط البعد الجيلي لعملية التواصل القراءاتي والتلاقح المعرفي.

وعليه فإن تحقيق المخطوطات يعني من ضمن مفاهيمه: " إظهار الكتب المخطوطة مطبوعة، مضبوطة، خالية نصوصها من التصحيف والتحريف، مخدومة في حلة قشبية، تيسر سبل الانتفاع بها؛ وذلك على الصورة التي أرادها مؤلفوها أو أقرب ما تكون إلى ذلك، ولا يدرك الأمر إلا بعناء وصبر على البحث والتحصيل".⁽⁴⁾

وقد أكد أهل العلم من الذين كتبوا في قضايا التحقيق والنصوص والمواد المدرجة ضمن هذا الإطار، بأنه: " أقوال المؤلف الأصلية، لتمييزها عما يكتبه المحقق في الهامش من شروح وتعليقات".⁽⁵⁾

والمخطوطات بمفهوم عام هي: " ما بقي من التراث الإنساني مدونا بالكتابة اليدوية على اختلاف لغاتها، ويراد بتحقيقها كل ما يتعلق بالعناية العلمية بها، من توثيق نسبتها إلى مؤلفيها والتثبت من صحة عناوينها وملاحظة ما عسى أن يكون دخيلا على متنها أو ناقصا منه، ومقابلة نُسَخها، وتخريج اقتباسها".⁽⁶⁾

بمعنى أنها منظومة متكاملة لها إطارها الزماني والمكاني، حيث تستوعب زمنها وما قبله، ويمكن أن تؤثر في واقع الناس عن طريق التأثير والتأثر، لكونها أداة علمية معرفية تتجاوزت مع أنساق الحياة، وصنعت تفاصيل لها وجنات من أطرها وخالصاتها.

3-أسس الجمع والبناء في منظومة المخطوطات

تعتمد المنظومات العلمية في بلوغ مراميها المقصدية إلى إنتاج المعرفة، وبعث البحث العلمي بأوجهه المنهجية الدقيقة، حفاظا على التوازن المعرفي، وتأكيذا لأهمية التواصل مع معارف الأجيال باستخدام الخبرات السابقة واللاحقة؛ حتى يتم ضبط المفاهيم الدلالية للأسس المقومة للتواصل الثقافي: " إن المعرفة العلمية، هي

1- د- محمد التوثيقي- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات- عالم الكتب بيروت- ط1-1986

2- أهاد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر- دمشق- ص 33

3- عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة- كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الغرب- ط1989م- ص 65

4- أهاد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- (مرجع سابق)- ص 19

5- الصادق عبد الرحمن الغرياني- تحقيق نصوص التراث- مجمع الفاتح للحامعات- طرابلس- ليبيا- ط 1989م- ص 07

6- عبد الحميد عبد الله الهدامة - ورقات في البحث والكتابة- (مرجع سابق)- ص 65

نوع من الثقافة تسمح برؤية التفاصيل والاستماع والتواصل بانضباط وإحكام أكثر، والتحقق من طبيعة ما نعتقد أننا قد كشفنا عنه من خلال الدراسة والبحث والتحقيق⁽¹⁾.

ومن هنا تأتي أهمية الدراسات التي تعتمد منهج التحقيق والضبط للنصوص والمخطوطات، التي جاءت عن أصحابها من الإرث القديم، والتي كتبت وفق ظروف عصرهم وبنمط قلمهم، وخط أيديهم، وخلاصات معارفهم، واستنتاجات عقولهم، وبواعث عواطفهم... إنها امتدادات معرفية، تحتاج إلى الدراسة والتوقف عند مخطأها وأبجديات المعرفة فيها. وهنا تكمن بواعث الإقدام وبذل الجهود من أجل القراءة والمقابلات بين النسخ، والاهتداء إلى التقريب بين الشرط الدقيق للكتابة، والشرط الرابط للمعاني والمفاهيم: "إن البحث عندما يُجرى بتدقيق منهجي ووضوح علمي، إن على مستوى طرح الإشكالية فيه، أو تتبع نسخ المخطوطات للتدقيق والإخراج، إنما كل ذلك يكشف عن الرهانات المعيارية والأخلاقية للظواهر المدروسة أو المحققة بطريقة مشاهمة لما يقوم به علماء علم الأحياء في إنتاج المعرفة والحفاظ على الحقائق⁽²⁾."

ومن أجل ذلك، حرص علماء المنهجية على إدارة معرفة التحقيق للمخطوطات، وجلب الاهتمام إليها وحولها، كونها المعرفة النابضة للتواصل الاجتماعي، الهادف إلى التمكين من ثقافة التواصل، وتخفيف الأجيال على الارتباط بالإرث الثقافي والمعرفي، الذي يُعد في الأساس هوية الأمة، وشخصية الأجيال التي تحاول معرفة الأنا من خلال الآخر (الماضي)، الذي تأكل مادة وبقي روحا وفكرا ومعرفة!.. والبحث العلمي، ليس بدعة على العرب والمسلمين، فلقد نبغ علماء في شتى العلوم والفنون، ولا زالت مؤلفاتهم وأبحاثهم وآثارهم تملأ الدنيا، وقد لا يتسع المقام للإفاضة في أفضال هؤلاء في فروع العلوم المختلفة: "ولكن يكفي الإشارة إلى دورهم المنهجي الذي أفاد البحث العلمي، وأدى إلى تحقيق الرقي والتقدم، الذي يجني العالم ثماره الآن، وذلك بعد الإضافة والتطوير، وتعاقب جهود العلماء على مر السنين⁽³⁾."

وإشارة كهذه، تعطي الدلالات الأكيدة والتميزة، للجهود الذي يبذلها الباحث المحقق من أجل الوصول بالمعرفة إلى أسمى غاياتها، كونه يُفني أجزاء من حياته، من أجل إخراج وتوثيق المعرفة للأجيال والقراء على حد سواء، وهذا الذي يحقق مجتمع العلم والمعرفة، والتجاوب مع تحقيق الذات، عن طريق التعاطي مع جهد العلماء وأهل الدراية من المنهجيين والكتاب والمحققين، ويمكن القول في هذا الخصوص: "إن علماءنا وضعوا لبنة البحث العلمي الأولى، وشاركوا في تصميم أسسه، كما أفاضوا في الكتابة والتأليف، واتبعوا الملاحظة والتدقيق

¹ - بتصرف - موريس أنجرس - منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية - (مرجع سابق) - ص 47-48

² - رمون كيني - لوك فان كمبرهود - دليل الباحث في العلوم الاجتماعية - تر/ يوسف الجباعي - المكتبة العصرية - بيروت - ص 46

³ - مصطفى حلمي - مناهج البحث في العلوم الإسلامية - مكتبة الزهراء - القاهرة - ط1 - 1984 - ص 07

والمحيط، وتميزوا بالدقة الموضوعية والقياس والمقابلة، وكلها عوامل أساسية للبحث والتحقيق العلمي
السليم والمميز⁽¹⁾.

ولعل هذا الاتجاه الثقافي، يقودنا إلى الحديث عن حقيقة المُعترك الحياتي الذي يعيشه الإنسان والذي
يصنعه بأفكاره وهواطفه وخيالاته، لأنه بذلك إنما يصنع حياته بتعبير المفكر محمد أركون، حين يتحدث عن
فاعلية الإنسان في صناعة الحضارة، والتميز بالتواصل العلمي الحقيقي بين الماضي الثري والحاضر المتنوع، يقول:
"الإنسان معجزة عظيمة (الباحث) جديرة بأن يُنصب كل الاهتمام عليها، ومن الضروري أن يكون هذا
الإنسان (المثقف) مسؤولاً عن صنع حياته بأسرها، (الماضي - الحاضر - المستقبل)⁽²⁾."

الإنسان (المثقف) مسؤولاً عن صنع حياته بأسرها، (الماضي - الحاضر - المستقبل)⁽²⁾.
تعبير مطاع صفدي، هو نقل الإنسان من حياة التاريخ وثقافته ومعارفه، إلى حياة الحاضر وصناعة
المستقبل، كونه يتعامل وفق نوااميس المعرفة، وحقائق العلم وتحدّره وتواصله بين الأجيال، إن على مستوى
الوعي بالذات وما أنتجت من معارف، أو الوعي الجمعي المرتبط بثقافة القيم والعادات والتقاليد والأخلاق
والهوية، ومستوى الإبداع الفني والفكري... إن كل تلك القيم المعرفية تتساقق وفق منطلق التحقيق والرغبة في
البناء العلمي، الذي يُمكن المعارف من التواصل والتجديد والتكامل، بما يؤسس هوية حضارية متميزة⁽³⁾.

وإذا كان الأمر نظرياً يتعلق بعملية التواصل، فإن ذلك يقتضي جملة من الإجراءات المنهجية التي تُعد
اللبات الأساسية، التي توجه وتساعد الباحث نحو تشكيل مفهوم وطريقة دقيقة لضبط إمكانات المعرفة وإلى
تحقيقها وإخراجها للقارئ والمكتبة عموماً. إن ذلك الجهد يحتاج إلى معرفة وحكمة، ودربة وممارسة، ليثمر
المُبتغى منه والمعوّل عليه في آن واحد: "أصبح البحث العلمي أولوية (والتحقيق أهم فروع) لدى كافة
الشعوب والأمم المتقدمة منها والنامية، لأن البحث العلمي يُعوّل عليه كثيراً في رسم السياسات وخلق الثروات
واكتساب المهارات، وأصبح مدى تقدم الشعوب يقاس بمدى ما تُخصصه له من دخلها القومي"⁽⁴⁾.

إن أسس جمع المخطوطات وبنائها، يندرج في هذا التقويم العام، الذي يستند إلى أفكار علمية،
وتطبيقات منهجية، ينحصر إطارها في تفعيل التاريخ، بمعنى تفعيل الزمان والمكان والإمكانات والجهد... حتى
يتسنى البناء الفعلي للمخطوطات على صناعة وحضور الفعل العلمي الأكاديمي المتميز، حتى تكون المخطوطة
حين إخراجها وبروزها لرفوف المكتبات، ذات قيمة من ناحية موضوعها، وذات مصداقية من ناحية ضبطها
ومقابلتها بالنسخ الأخرى، وإخراجها على الوجه الذي يحقق لبنة التفاعل العلمي المتميز بالمصداقية والحضور

¹ - بتصرف - د- محمد شفيق- البحث العلمي (المخطوطات المنهجية لإعداد البحوث)- المكتب الجامعي الحديث- ط1- 1405هـ-
1985م- ص 10

² - فارح مسرحي- الحداثة في فكر محمد أركون- منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم- بيروت- ط1- 1427هـ- 2006م-
ص 28

³ - بتصرف- نقد العقل الغربي- الحداثة وما بعد الحداثة- مركز الإنماء القومي- بيروت- ط1- 1990- ص 63

⁴ - فضل دلبو وآخرون- أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية- منشورات جامعة متوري فلسطينية- ط1999- دار البعث- فلسطين-
الجزائر- ص 11

المثمر للموضوع أو القضية، التي تطرحها المخطوطة محل الدراسة والتحقيق: "إن ضبط المخطوطة والتحقق من ذلك، له حرمة وأمانته. وواجب المحقق أن يؤديه كما وجدته في النسخة الأم".⁽¹⁾

إن مهمة التحقيق، تحتاج إلى مزيد من الصفات الدالة والتميزة في المحقق، حتى يفي بغرض المعرفة وإخراجها بالشكل الدقيق والتميز، وذلك بكونه يتميز بأكثر من معرفة دقيقة حول علوم اللغة وعلوم المعاني ودلالات التراكيب، ومقابلات الشواهد والتناص في غير ذلك مما يمكنه من الدراسة والحرص المكين والشديد للدراسة والمقابلات والتصحيح والتخريج. لذلك انبرى لهذه المهمة علماء أجلاء: "اعتنوا بالكتب الخطية وتقديمها للناس خدمة للعلم وأهله، ونقلها من المخطوط إلى المطبوع بأدق صورة ممكنة".⁽²⁾

4- قواعد وضوابط التحقيق

إذا كان الأمر قد تعدى جوانب التأسيس والأهمية، فإن الفعل التحقيقي يحتاج إلى ضوابط منهجية، تأخذ بيد المحقق نحو إنجاز مهمته العظيمة واليسيرة ولاشك، كونه يسعى إلى خدمة العلم والمعرفة، بتطابق الجهد وفق التميز والصبر الذي لا بد منه، كون عملية التحقيق يمتاز صاحبها، بالمشابرة والحرص الشديد على الثبت والإدراك والإقدام أيضا.

وتتوزع المهام الأساسية للباحث والدارس المحقق، على أكثر من جانب ودراية واستقصاء وتأکید ومعرفة...إنما أولويات فيها تقدم وتأخير حسب الحاجة والمنطلق: "وتلك الدقة تحتاج إلى صبر وتكاليف من الجهد والمال والوقت، ينفقها المحقق في طلب نسخة ثانية، أو في قراءة كلمة غاب وجه صواب قراءتها...".⁽³⁾ على المحقق أن يدرك قبل اقتحام هذا الميدان، أن العملية تحتاج إلى جهد الباحث في البحث، وإلى جهد المحقق في البحث والدراسة أيضا؛ إنه جهد مضاعف يتدارك بالعلم والصبر له ومن أجله، وهذا ما يُعرف: "بجهد المحقق المبذول في إعداد النص للتحقيق والنشر، وتتبع عمله في ضبط النص، والتعليق عليه وتوضيحه".⁽⁴⁾ ولكون المنهجية العلمية، تقتضي من الباحث عموما والمحقق خصوصا، أن يتدارك جهده بوضع جملة من التساؤلات، قبل الإقدام على العمل الذي يود الانخراط فيه، للمشاركة في صناعة المخطوط وإخراجه للقارئ، حتى يبلغ مبلغه المقبول من حيث صحة المعارف المقدمة، والتأويلات الراجحة التي تضمن على الأقل كماً معرفيا من القبول والتوازن.

وهذه التساؤلات، يمكن أن تأتي بالصياغات التالية:

- 1- ما الإشكالية التي يطرحها الموضوع محل الدراسة؟
- 2- ما البناء الذي اعتمده الكاتب أو الناسخ من أجل بناء موضوعه؟

¹ - عبد السلام هارون - قواعد تحقيق المخطوطات - ص 74

² - إِيَاد خَالِد الطَّبَاع - منهج تحقيق المخطوطات - (مرجع سابق) - ص 9

³ - عبد الحميد عبد الله الهدامة - ورقات في البحث والكتابة - (مرجع سابق) - ص 67

⁴ - إِيَاد خَالِد الطَّبَاع - منهج تحقيق المخطوطات (مرجع سابق) - ص 83

- 3- ما أوجه الاستدلال والمساءلات في فرضياته؟
- 4- ما القيمة التي يطررها الموضوع، في مجال التخصص الذي رame صاحب المخطوط؟ (بمعنى الأهداف والنتائج من)
- 5- ما الذي يمكن أن يجنيه المحقق والقارئ من موضوع المخطوطة؟

(التحقيق).
هي أسئلة البداية كما يُعبر عنها بلغة التخطيط المنهجي؛ غير أن الأمر لا يتوقف عند حدود هذه المساءلات بطبيعة الحال، وإنما يتعدى إلى ما يسمى في العرف المعرفي المنهجي، بالأهداف المتوخاة من البحث، والتي تتمحور حول النقاط التالية:

أ- الأهداف العامة من التحقيق.

ب- الأهداف الخاصة من التحقيق.

ج- الفرضيات والتوقعات.

د- البناء الهيكلي العام، في مستويات الحفظ والإتقان.

هـ- التماثل والتشابه والتوافق، بين النسخ والتقديرات.

وهذه الفرضيات والتوقعات، تسير منهجيا وفق الأنساق التالية:

1- تحديد قيمة المخطوطة.

2- تحديد الأبواب أو الفصول التي بنيت على أساسها، مع ذكر العناوين الأساسية والفرعية، حتى

يتمكن المحقق من إثراء عمله العلمي، بإقناع الآخر والتمكن من عقله وعواطفه.

3- تحديد النقاط الارتكازية في المخطوطة محل الدراسة، والكيفيات التي تُعتمد لغرض التحقيق وغرض

الدراسة.

ولتحقيق هذا المقصد، فإن الدارسين في حقول المنهجية، يُضْمَنون قضايا التحقيق جملة من الخطوات،

التي لا بد منها قبل الشروع في التحقيق والدراسة، وذلك بالمقتضيات التالية:

1- تحديد النسخة محل التحقيق، باستعراض التساؤلات والمحطات المنهجية السابق ذكرها.

2- التحقق من المخطوطة المراد دراستها، وأنها لصاحبها المدرج اسمه في غلافها؛ لأن ذلك يحقق غرض

التوثيق في إعادة المخطوطة لمؤلفها الحقيقي، حتى يتمكن المحقق من رسم صورة واقعية وفعلية لمخطوطه، وهذا

يتطلب منه مقابلتها بأكثر من نسخة، ويشترط في هذا السبيل نسختين على الأقل، بخط صاحبها أو من ناب عنه من كتابه أو أحد أفراد عائلته... إلخ.

3- التحقق من سنة المخطوطة ومكانها وورقها ونوع مدادها في كل الصفحات، حفاظا على

مصادقيتها وتميزها وحقيقتها: "التعرف على المداد وتغيراته والناسخ وتاريخ النسخ ومكانه... إلخ".⁽¹⁾

¹ - ورقات في البحث والكتابة - (مرجع سابق) - ص 65

4- التحقق من العنوان في دلالاته وشموليته، والمطالب التي يتوخاها الكاتب من خلال وضعه لعنوان نسخته ومصفه.

5- معرفة أماكن وجود نسخ المخطوطة، حتى يتم الوصول إليها ومقابلتها ببعضها.

6- التأكد من عدم تحقيق المخطوطة، وإذا كان ولا بد من إعادة تحقيقها، فإن ذلك يتطلب البرهنة على نقص في التحقيق السابق، أو وجود أخطاء في المتن أو الحواشي تُحرّف مسار المخطوطة عن غرضها وأصلها الذي من أجله جاءت وألفت.

7- التأكد من صحة القراءة، ومعرفة نوع الكتابة (كالخط المغربي مثلاً)، حتى يتسنى للمحقق قراءة الكلمات وضبطها ومعرفة مواقعها، والتدرج في ذلك بقدر ما تمليه الحاجة، وما يفرضه ظرف المخطوطة والتحقيق.

8- أن يكون المحقق من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تطرحه المخطوطة، أو له قابلية ليتواصل مع ذلك الفهم والعلم؛ حتى يحصل المراد وتتحقق فيه نتيجة الجهد الذي بذله من أجل المعرفة والتحصيل.

9- الشروح والتعليقات التي يقدمها المحقق، تتطلب جهداً إضافياً لجهد التحقيق؛ وهذا بالاستعانة بالمصادر والمراجع التي تخدم غرض الموضوع الذي جاءت فيه المخطوطة.

10- العودة إلى ذوي الاختصاص من المشرفين والعاملين في حقل التحقيق من أهل العلم والدراية والدربة والممارسة، حتى يحصل الباحث على كل ما يرشده ويعينه في عمله العلمي المتميز، وخاصة المشرف على العمل العلمي الذي تبني المشروع مع الطالب.

إن هذا القدر من الجهد والتواصل الفكري والمعرفي، يحقق إلى حد كبير درجة من الاتساع وفقه حاجيات المثقف، وصنع إرادة التواصل مع الجذور الثقافية وبناء ذات تنطلق من معطيات تاريخية، مجدت العلم وخدمته وصنعت حضارة المعرفة، وأبدعت في تحقيق متطلبات وحاجة القراء وأهل المعرفة والعلم. إن طبيعة المخطوطات، تحمل دلالة وجوهر صناعة الأنا، والتركيبية المتميزة في خصوص الأبعاد المجتمعية المتعددة، وفق منطلقات الحياة الدينية والثقافية والسياسية... إلخ

ومن هنا تأتي أهمية الجمع والتحقيق والدراسة والطبع، في إثراء المكتبة بمختلف صنوف العلوم والمعارف، وهذا منبعه ينباع التراثية من مخطوطات ومؤلفات لها موطئ قدم في ساحة التأليف وصنوف الثقافات، وهذا من أجل المهمات وأعظمها في عالم صناعة الإنسان مشيد المستقبل والحضارة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

¹ - أصول البحث العلمي - مكتبة وهبة - القاهرة - ط 1982

² - عبد الملك مرتاض - تقنيات السرد - عالم المعرفة - الكويت - عدد 240

- ³ - موريس أنحرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- ترجمة/ بوزيد صحراوي- دار الفتنة- الجزائر- ط2004
- ⁴ - د- اسماعيل زردومي- محاضرات في السرد- السنة الدراسية 2009-2010م- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة باتنة- الجزائر
- ⁵ - إباد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر - دمشق- ط1- 1423هـ-2003م
- ⁶ - د- رمضان عبد التواب - تحقيق التراث(أساليبه وأهدافه)- مجلة قافلة الزيت- عدد فبراير - 1976م
- ⁷ - ابن منظور- قدمه/ الشيخ عبد الله العلايلي- أعاد بناءه على الحرف الأول: يوسف خياط- دار الجيل- بيروت- دار لسان العرب بيروت- مادة: (نُحج)- مج6
- ⁸ - الفيروز آبادي- دار الجيل بيروت- المؤسسة العربية للطباعة - بيروت- مادة (نُحج) باب الجيم- فصل النون- ح1
- ⁹ - ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) - تح/ عبد السلام محمد هارون- دار الفكر بيروت- مادة: (نُحج) ح5
- 10 - برجستراسر (مستشرق ألماني) - أصول نقد النصوص ونشر الكتب- تقديم د- محمد حمدي البكري- دار المريخ للنشر- الرياض- السعودية
- ¹¹ - د- عبد الملك مرتاض- التحليل السيميائي للخطاب الشعري- منشورات إتحاد الكتاب العرب- دمشق- ط2005
- ¹² - د- محمد التونجي- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات- عالم الكتب بيروت- ط1- 1986
- ¹³ - إباد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر- دمشق
- ¹⁴ - عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة- كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الغرب- ط1989م
- ¹⁵ - الصادق عبد الرحمن الغرياني- تحقيق نصوص التراث- مجمع الفاتح للجامعات- طرابلس- ليبيا- ط1989م
- ¹⁶ - ريمون كيني- لوك فان كمينهود- دليل الباحث في العلوم الاجتماعية- تر/ يوسف الجباعي- المكتبة العصرية- بيروت
- ¹⁷ - مصطفى حلمي- مناهج البحث في العلوم الإسلامية- مكتبة الزهراء- القاهرة- ط1- 1984
- ¹⁸ - د- محمد شفيق- البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث)- المكتب الجامعي الحديث- ط1- 1405هـ- 1985م

- ١٩ - فارح مسرجي - الحداثة في فكر محمد أركون - منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم - بيروت - ط ١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
- ٢٠ - نقد العقل الغربي - الحداثة وما بعد الحداثة - مركز الإنماء القومي - بيروت - ط ١ - ١٩٩٠
- ٢١ - فضيل دليو وآخرون - أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية - منشورات جامعة متوري قسطينة - ط ١٩٩٩ - دار البعث - قسنطينة - الجزائر
- ٢٢ - عبد السلام هارون - قواعد تحقيق المخطوطات